إميل لودفيج

الأستاذ عمر حليق

مات إميل لودفيج فى ١٨ سبتمبر من هذا العام بعد أن ترك ثروة أدبية فى نوع فريد. ولودفيج من الكتاب الألمان القلائل الذين احتفظوا بسمعة عالية بالرغم من الويلات والصدمات التى ألمت بالحياة الأدبية فى نصف القرن الحالى فى تلك البلاد التعسة.

وثروة لودفيج خليط من المقالات السياسية فى قالب التراجم وفى المسرحيات السياسية والتاريخية والاجتماعية، وله كتاب من نوع فريد أرخ فيه تاريخ ثقافة فى حياة نهر، فكتابه « النيل » يجمع بين الطرافة الأدبية والدقة التاريخية ولمحات من التحليل العميق للحضارات العتيقة والحديثة التى أوحى بها هذا النهر الأزلى. وقد اختار لودفيج تراجمه من الشخصيات المعقدة التى تحتاج إلى تعمق فى الدراسة، لا بسبب ما بها من عقد نفسية فحسب، بل للظروف والملابسات التى أحاطت بها، وبالأدوار التى لعبتها فى تاريخ الحضارة والإنسانية. فكتبه عن السيد المسيح، وعن جوته وبيتهوفن وبسمارك أثارت مناقشات فى الأوساط السياسية والأدبية والدينية معاً، وهذه من مزايا الأعمال الخالدة التى لا تنفرد بطابع التفكير الذى لا يتقيد بالمألوف ولا يجارى الاتجاهات التقليدية. وليست هذه الكلمة تحليلا لأعمال لودفيج ولا هى تعريفاً بإنتاجه الأدبى، وإنما هى عرض لحياة رجل من المثقفين الذين تركوا للكتبة الأدب والتاريخ ثروة حافلة بالإبداع الفنى والتعمق الفلسفى ولمحات صادقة من تطور السلوك الفردى وتباينه فى مراحل نمو العظماء والبارزين الذين جعلهم لودفيج مواضيع لآثاره الفنية.

ولد إميل لودفيج فى برسلو بألمانيا عام ١٨٨١ ثم رحل إلى سويسرا وأصبح فى سن الثانية والثلاثين مواطناً سويسريا وأعلن أنه اختار سويسرا منفى له طواعية بعد أن أثار بعض الجدل فى المحافل الأدبية والسياسية بسبب كتاباته عن بسمارك والعقلية الألمانية.

وكان والد لودفيج أستاذاً فى جامعة برسلو، وهو يهودى اسمه هرمان كوهين إختار لابنه إميل كنية غير يهودية ليدفع عنه أذى العادين لليهود فى ألمانيا.

والواقع أن يهودية لودفيج التى كان يفخر بها قد أفادته فى حياته الأدبية إلى أبعد حد؛ فإن سيطرة اليهود فى كل دولة أوربية وفى أمريكا الشمالية على ألسنة الرأى العام ودور النشر وتجارة الكتب كانت سبباً هاماً فى توفير الإمكانيات للودفيج ولمئات الكتاب اليهود فى ألمانيا وغير ألمانيا وتقديمهم إلى الأسواق العالمية ورعاية نموهم الأدبى كأحسن ما تكون الرعاية. وندر أن تجد فى الأوساط الأدبية العالمية من يتعرف أو يعترف بالأدباء والمثقفين الألمان من غير اليهود وندر أن تجد فى مكاتب أوربا الغربية وأمريكا من المنتجات الألمانية إلا إذا كانت صادرة عن أدباء يهود أو ينتمون إلى اليهود بصلة — كما هى حال الكاتب الألمانى الشهير توماس مان الذى ساعد زواجه من امرأة يهودية على كسب رعاية اليهودية العالمية التى تعمل فى الحقل الأدبى والأوساط الثقافية الدولية. ومن الجدير ذكره بهذه المناسبة أن الأوساط الأدبية والفنية فى أمريكا تشمئز بهذا التكتل اليهودى وتنفر منه؛ فإن سيطرة اليهود فى أمريكا على الحياة الأدبية فى مصادر الإنتاج جعلت حظ الأمريكان من النجاح مقيداً بالنعرة اليهودية الضيقة التى تسهل الرقى والنجاح للادباء والفنانين من اليهود الأوربيين الذين يستوطنون الولايات المتحدة على حساب الناشئة من الكتاب والشعراء والفنانين الأمريكان. إنفرد لودفيج من بين الكتاب المعاصرين بمعالجة أدب

والأباطيل؟ ألم يكن لها فى كل دولة جاسوسية تؤرث العداء والحرب؟ ألم يكن لها فى كل أمة أسواق تنشر الغلاء والكرب؟ ألم يكن لها فى كل مدينة (حارة) تشيع الفحش والفجور؟ ألم يكن لها فى كل صحافة لسان يذيع البغاء والفجور؟

قولوا بلى، كانت لهم كل أولئك؛ ولكن الله أوعدهم ووعدنا أن يحبط أعمالهم، ويطيش آمالهم، ويديم إذلالهم، فحققوا وعيد الله ووعده بمثل هذا الحكم، واتقوا يوماً يجوز أن يتولى الشيطان فيه أمر الأرض، فيجعل لهم القضاء عليكم، فيقيموا لكم محاكم كمحاكم التفتيش، ويومئذ لا يجدر بالعربى الأبى أن يعيش!

مصطفى صادق الرافعى